

الفكر التربوي عند الخليفة الراشد

أبي بكر الصديق

ياسر موسى بطيخ

تعتبر التربية من أهم جوانب فكر أبي بكر الصديق ، وقد اقتنع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأن الاسلام دين ودنيا ، وأن الاسلام يستطيع أن ينظم حياة الأفراد الدينية والدنيوية ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، وقد انعكس ذلك على فكر أبي بكر الصديق التربوي ، فكانت غالبية آراء أبي بكر الصديق التربوية مستمدة من مبادئ الإسلام ، وقد تركزت أفكار الخليفة أبي بكر الصديق في أربعة من مجالات التربية هي : التربية العقلية ، والتربية الخلقية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية السياسية .

أولاً : التربية العقلية

لقد اهتم ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالعقل لأنه ميزة الإنسان عن باقي المخلوقات ، وقد ميزه الله به ليتفكر في خلق الله وينظر في الكون ويدرك حكمة الله في كونه ، ولقد حث أبو بكر الصديق المسلمين على استخدام العقل الاستخدام الأمثل الذي أمر به الله في كتابه الكريم ، فقال في خطبة من الخطب التي توضح الكثير من أفكاره التربوية : اعتبروا عباد

الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا الأمس ؟ أين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر في القتال والغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعض بهم الدهر وصاروا رميماً . . . ، أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلاشيء . ألا إن الله قد أبقي عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن اغتررنا كنا مثلهم ، أين الوضاء الحسنة وجوههم ؟ والمعجبون بشبابهم ، صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم . (١)

ونرى هنا أبا بكر الصديق وهو يحث المسلمين على التفكر في خلق الله والاعتبار بمن كانوا قبلهم ، وهنا نرى أيضاً اهتمام أبي بكر الصديق بتربية عقل المسلم تربية إسلامية يستطيع من خلالها تدبر الأمور وعبادة الله عبادة سليمة دون الفصل بين الدنيا والدين .

ثانياً : التربية الخلقية

إن الأخلاق الحميدة والقيم

الأخلاقية الإسلامية هي التي ترسم للإنسان المسلم طريقه وتحدد له سلوكه المستقيم ، ولذلك اهتم أبو بكر الصديق بالتربية الخلقية من جميع جوانبها ، فبداية نصح المسلمين بالتمسك بكتاب الله ، لأن جميع الأخلاق الفاضلة التي يجب اتباعها تستمد من كتاب الله ، فالتمسك بكتاب الله يفرض على المسلم تباعاً التمسك بأخلاق الإسلام ، وقال أبو بكر وهو يدعو المسلمين إلى التمسك بكتاب الله : إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين (٢) وقد قال أيضاً ما يدعم ذلك القول : لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا عمل لمن لا نية له (٣) .

ثم جعل أبو بكر الصديق تربية ضمير الفرد المسلم من أساسيات التربية الخلقية له . وتعتمد تربية الضمير على طاعة الله في أوامره ونواهيه والتقوى ، لذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الله سبحانه وتعالى : ما عنده لا يدرك إلا بطاعته (٤) وبذلك يشعر الإنسان المسلم

الفكر التربوي عند الخليفة الراشد

تدفع لرسول الله ﷺ وقد زالت عنهم بموته ﷺ . واستمر الخليفة أبو بكر الصديق في دعوته إلى التمسك بالأخلاق الحميدة والتشبث بها ، وهو أسلوب من أساليب الخليفة أبي بكر الصديق التربوية ، فقد أوجد البديل لكل ما هو سيء ، وكان يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في تربيته ، فكان يُرهب المسلمين من صفات الكذب والغرور والشح والتبذير ، ويرغبهم في نفس الوقت في الأخلاق الحميدة المضادة لتلك الصفات مثل الصدق والتواضع .

ثالثاً : التربية الاجتماعية

من مميزات الإسلام أنه دين اجتماعي استطاع أن ينشئ مجتمعاً صالحاً كما استطاع إنشاء فرد مؤمن صالح ، وحث الإسلام المسلمين على الاتحاد ، وألا يكون الفرد منعزلاً منطوياً بعيداً عن المجتمع الإسلامي .

وكان فكر الخليفة أبي بكر الصديق في التربية الاجتماعية يتمثل في نصيحة المسلمين بالتمسك بتعاليم الإسلام والحفاظ على حقوق الآخرين . وكان دائماً ينصح جنوده بالابتعاد عن الخيانة والغدر ، فقال في وصيته لبعث أسامة بن زيد : يأيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر احفظوها عني : لا تخسونا ، ولا تغفلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا

أنه مُرَاقِبٌ من قبل الله سبحانه وتعالى ، فالتقوى أول بنود تربية الضمير ، وقد حث عليها أبو بكر فقال : اتق الله في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله^(٥) ثم حرص بعد ذلك أبو بكر الصديق على توجيه المسلمين إلى أداء فروض الله التي فرضها على عباده ، وقد اشتملت هذه العبادات على كثير من الأمور التي تساعد في تربية الخلق الإسلامي للفرد المسلم ومن هذه الأمور أنها تقوي الجانب الروحاني للفرد وتحيي ضميره ، فلا ينسى الله الذي يراقبه في كل لحظة . لذلك قال أبو بكر الصديق : لا يُقبلُ من أحد إلا بالإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله^(٦) .

ولذلك الأمر حارب أبو بكر الصديق قبائل المرتدين ، كانوا يؤدون الصلاة وأنكروا الزكاة وقالوا إنها كانت

شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا يعيراً إلا لماكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خففاً ، اندفعوا باسم الله^(٧) ونرى الخليفة الراشد هنا وهو ينصح جنوده ويبث لهم أفكاره التربوية - وبالأخص التربية الاجتماعية - فجميع نصائحه لهم تمثل لنا فكره التربوي العظيم ، فكان يدعو ويرغب المسلمين في شكر الله على نعمته عليهم ، وعلى كافة نعمه فقال : جعلنا الله وإياكم لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين^(٨) .

وكذلك كان يحث المسلمين على العمل الشريف وكان يرفض الكسل والتواكل ويدعو للعمل الصالح فيقول : اعمل صالحاً^(٩) وكذلك قوله رضي الله عنه : اعمل لله كأنك تراه^(١٠) وكذلك قال : لا عمل لمن لا نية له^(١١) وقد كان الخليفة أبو بكر الصديق مثلاً عظيماً للمسلمين على التمسك بالعمل والإخلاص فيه لله ، ومن كل ما سبق يظهر لنا اهتمام الخليفة أبي بكر الصديق بالتربية الاجتماعية من علاقات وأخلاق اجتماعية .

أبي بكر الصديق

رابعاً : التربية السياسية

وباعتبار أن الشريعة الإسلامية شاملة تجمع بين الدنيا والآخرة ، لذا فقد كان النظام الذي أنشأه الرسول ﷺ نظاماً سياسياً دينياً في نفس الوقت ، ويتناول حياة الإنسان وأعماله الدينية والدنيوية ، فكانت الشريعة الإسلامية تخرج بين الأمرين ولا تعترف بالتمييز بينهما ، وبعد ظهور الدعوة الإسلامية تَكُونُ مجتمع متميز ، وأهم مميزاته أنه لا يعترف إلا بشرع يتمثل في الشريعة الإسلامية ، واستمر الجمع بين السلطة الدينية والدنيوية للخليفة في عهد الخلفاء الراشدين ، وبدأ بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والذي سار على نفس الطريق التي بدأها رسول الله ﷺ ومبادئ الإسلام من شورى وحرية رأي ومساواة بين الأفراد ، والشورى من أهم المبادئ الإسلامية التي تولاها الخليفة أبو بكر الصديق ، فكثيراً ما حث المسلمين على الشورى حيث قال : أحسن صحبتهم ولتكن لهم كنفاً واخفض لهم جناحك وشاورهم في الأمر^(١٢) .

كذلك حرص الخليفة أبو بكر على مراعاة وتطبيق مبدأ الحرية ، فهو من المبادئ العظيمة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، وكفل رضي الله عنه جميع أنواع الحريات لكل المسلمين وكذلك لكل من تظلم راية الإسلام ، سواء حرية العقيدة أو حرية الرأي وكل أنواع الحريات . ومن المبادئ

التي طبقها أيضاً الخليفة الراشد أبو بكر الصديق مبدأ المساواة بين الأفراد والذي يعكس عدالة الإسلام ، ومبدأ المساواة هو المبدأ الذي عليه تم إعادة تشكيل العلاقات بين الناس ، وفي ضوء هذه المبادئ لأبي بكر الصديق يتضح لنا أنه استطاع بفكره المستنير أن يعمل على تربية الفرد المسلم تربية سياسية حكيمة .

ومن خلال استعراضنا لآراء الخليفة وفكره التربوي نستطيع أن نستخلص بعض الأهداف التي سعى لتحقيقها من خلال خطبه ونصائحه ووصاياه وهي :-

١- تكوين الشخصية الإسلامية القوية التي تدين لربها بالولاء والطاعة وتعترف رسالتها في الحياة .

٢- تنمية الجانب الفطري عند الفرد المسلم ليكون اتجاهه دائماً تجاه الخير .

٣- تربية الفرد المسلم تربية اجتماعية سليمة عن طريق تدريبه على الآداب والأخلاق والعلاقات الاجتماعية التي نصت عليها الشريعة الإسلامية .

٤- لقد أدرك الخليفة أبو بكر الصديق أهمية العقل وقدراته المختلفة في البحث والتفكير . لذلك عمل على تكوينه التكوين الأمثل .

٥- كان من أهدافه أيضاً أن يستفيد الفرد المسلم من الثقافات المختلفة في عصره ويستفيد من الخبرات

والتجارب .

وقد اعتمد فكر الخليفة أبي بكر الصديق على مادة غنية ، وهي التي استمد منها آراءه وفكره التربوي ، وكانت تلك المادة تتكون من القرآن الكريم والسنة النبوية التي قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي» صدق رسول الله ﷺ . ■

المراجع

- (١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ط ٤ ، ج ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٤ .
- (٢) محمد عبد الله الأزدي ، فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ .
- (٣) الطبري ، مرجع سابق ، ص ٣٩٠ .
- (٤) المرجع نفسه ، ص ٢٢٤ .
- (٥) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٩ .
- (٦) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٥٠ .
- (٧) المرجع نفسه ج ٣ ص ٢٢٧ .
- (٨) ، (٩) محمد عبد الله الأزدي ، مرجع سابق ص ٢٣ ، ص ١٨ .
- (١٠) ، (١١) الطبري ، مرجع سابق ج ٣ ص ٣٩٠ .
- (١٢) محمد عبد الله الأزدي ، مرجع سابق ص ١١ .